إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة ديسمبر ٢٠١٤ م

حرب البيت الزجاجي (٢)

استطرد الشيخ الحكيم قائلاً: لماذا يا بنيتي قبلتِ مشورة الحية؟ إنك بدأت حسناً بل وحسناً جداً عندما نويتِ بكل قلبك أن تبذلي نفسك من أجل خير الشعب، لكنك تحت ثقل الصليب وجدتِ في مشورة الحية مخرجاً لمعاناتك وآلامك. لقد حفرتِ لنفسك آباراً مشققة لا تضبط ماءً. أليست مشاعر الضجر والتأفف والتوتر المسيطرة على قلبك وفكرك هي أكبر معيار ودليل على عدم كفاءة **"سياسة الأقنعة"** في إخفائك عن أعين الناس وتعليقاتهم وإنتقاداتهم؟ بل إنني أتجرأ وأقول أن هذه الأقنعة زادت من حمولك إذ جعلتك تعيشين حياة زائفة قد تصل إلى حد الرياء حتى تهربين من البيت الزجاجي الذي تعيشين فيه. لقد ظننتِ خطئاً أن التجمل والتظاهر والعيش في **"قالب زوجة الملك"** سيجعل المتفرجين والمراقبين والناقدين والمعلقين يتركونك في حالك ويتوارون عنكِ أنتِ وأسرتك فتنعمين بالهدوء والسلام. لكن الحقيقة التي غابت عنكِ هي أن هؤلاء جميعاً يملكون راداراً حساساً يميزون به جيداً ما هو المزيف وما هو الحقيقي، ويدركون جيداً متى تلعبين دوراً تمثيلياً. إن كان وضعك كزوجة للملك فرض عليكِ وعلى كل أسرتك أن تعيشوا على المنصة تحت الأضواء وتحت متابعة المتفرجين كما على خشبة المسرح، فإنه ينبغي عليكِ أن تعلمي أن هذه عطية كبيرة يتعين عليكِ أن تشكري الله عليها. لا تتعجبي من قولي أنها عطية تستوجب الشكر فهذا هو تدبير الله الخلاصي الذي دبرته عنايته الإلهية الكلية الحكمة لكِ ولأسرتك.

إفهمي يا بنيتي جيداً ما أريد أن أقوله. جميع الذين يفرض عليهم العيش داخل القصر الزجاجي يريد لهم الله أن يعيشوا كما يليق بقدوة حقيقية وليس كقدوة مزيفة. إنهم إذ يدركون أن الأعين تتطلع إليهم متعطشة لأن ترى فيهم صورة إنجيلية حية معاشة يضطرون حينئذ لأن يكونوا يقظين كل حين وساهرين على خلاص نفوسهم بكل غيرة وشوق حتى إذا طُلب منهم حساب وكالتهم يجيبون بكل ثقة: *"ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله"* (عب٢:١٣). هذا الباب الضيق الذي تحصرهم فيه النعمة حصراً هو علة خلاصهم. أما ما فعلتيه أنتِ هو أنكِ طلبتِ باباً واسعاً يجنبك مشقة الجهاد وعناء الطريق. لقد إلتمستِ مخرجاً في أقنعة زائفة كما أوراق التين التي احتمى بها آدم وحواء لكنكِ للأسف لم تدركي أن هذه الأقنعة أظهرت أكثر وأكثر خزي عريتكِ أمام الآخرين. والأخطر من ذلك هو أنه بعد قليل من ارتداء الأقنعة بدأتِ تتناسين زيفها وتقتنعين أنها حقيقية وأنها جزءاً لا يتجزأ منكِ!!

لا يا ابنتي لا يكُن فيكِ هكذا! أذكري مصير قايين الذي قدم ذبيحة رياء زائفة (تك٤: ٣-١٦)، والكتبة والفريسيين المرائيين الذين وقعوا تحت ويلات السيد المسيح دون أي أحد آخر (مت ٢٣)، وأين انتهى حنانيا وسفيرة اللذان ظنا أن الأقنعة تخفيهما عن أعين الروح القدس (أع٥: ١-١٠)، وكيف قاوم بولس بطرس وبرنابا

واليهود الذين انقادوا إلى الرياء ولم يسلكوا بإستقامة بحسب حق الإنجيل (غل٢: ١١-١٤). أنصتي لوصية بولس الرسول: *"المحبة فلتكن بلا رياء"* (رو١٢:٩)، ولنصيحة بطرس الرسول: *"فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة"* (١بط٢:١).

لماذا تتضايقين من العيش في قصر من الزجاج تحت أعين الناس؟ إليكِ إذاً هذا الخبر السار. إننا جميعاً نشاركك العيش خلف أسوار الزجاج!! ألسنا معتبَرين جميعاً كعائشين في قصر من الزجاج تحت عيني الله وملائكته وقديسيه؟ لماذا تجزعين من أعين سكان الأرض بينما نحن جميعاً في الواقع واقعون تحت أعين سكان السماء؟ حقاً إن كل من يدرك أن السماويين يرونه ويتصرف بحسب هذا الإدراك لا يجزع بالمرة مما يراه فيه الأرضيون. لقد أدرك **داود** تلك الحقيقة بوعي روحي وجداني عميق فصرخ إلى الله قائلاً: *"عجيبة هذه المعرفة فوقي. ارتفعت لا أستطيعها. أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب؟ إن صعدت إلى السموات فأنت هناك وإن فرشت في الهاوية فها أنت. إن أخذت جناحي الصبح وسكنت في أقاصي البحر فهناك أيضاً تهديني يدك وتمسكني يمينك"* (مز١٣٩: ٦-١٠). أما **بولس الرسول** فقد أعلن بوضوح: *"ليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا"* (عب٤:١٣). وهوذا **القديس كيرلس الكبير** يقول: *."الرياء أمر مكروه لدى الله، وممقوت من الناس، لا يجلب مكافأة، ولا يصلح قط في خلاص النفس بل بالحري يهلكها. إن كان أحد يهرب بالرياء لئلا يُكتشف أمره فإلى حين، لكنه لا يدم طويلًا إذ ينفضح الأمر ويجلب له عارًا، فيكون كالنساء قبيحات المنظر عندما تُنزع عنهن الزينة الخارجية القائمة على وسائل صناعية. الرياء إذن غريب عن القديسين! ليس شيء يُقال أو يُعمل يختفي عن عيني اللاهوت، إذ قيل: "ليس مكتوب لن يُستعلن ولا خفي لا يُعرف" (لو ١٢: ٢). فإن كانت كلماتنا وأعمالنا تظهر في يوم الدينونة يكون الرياء تعبًا باطلًا. يليق بنا بالحري أن نتزكى كعابدين حقيقيين نخدم الله بملامح صادقة وصريحة"* (القديس كيرلس الكبير).

الآن يا بنيتي أشير عليكِ أن تتوبي عن أزمنة الجهل بأن تطرحي عنك مشورة الحية الردية، وتخلعي كل أقنعة الزيف، وتحملي صليبك بل وتعانقيه بكل حب وفخر مدركة أنه لا خلاص خارجاً عن الطريق الذي رسمته لكِ عناية الله.

فلترددي هذه الصلاة باستمرار ولأرددها أنا أيضاً معك:

"يبدو المراءون مثمرين ومخضرِّين في أعين زملائهم
لكنَّهم في نظر الديَّان الخفي يظهرون بلا ثمر وذابلين
من يحميني من صقيع الرياء؟
من يحوِّط حول أعماقي من حب المديح؟
من يرعاني بعيدًا عن المجد الباطل؟
أنت وحدك مجدي وعزِّي !
حبك يلهب قلبي بنارٍ سماويَّة،
فيبددِّ صقيع الرياء"

(القديس غريغوريوس الكبير)